الدولة الزنكية :

انطلقت اسرة ال زنكي بقيادة عماد الدين ،من الموصل ثم حلب ودمشق ،في الربع الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي .فقد ولاه السلطان السلجوقي محمد في عام (٥٢١ه/١١٢٧م) الموصل والجزيرة ومايفتحه من بلاد الشام .

كان عماد الدين زنكي في بداية حياته اتابكا ،ايمؤدبا ،للاميرين السلجوقيين الب ارسلان وفروخشاه ،واتصف بأنه جندي بارع وسياسي لبق ،واداري ممتاز ،فأستفاد من هذه الصفات خلال ممارسته الحكم .وبعد ان ثبت اقدامه في الجزيرة وشمالي بلاد الشام بضم حلب ،ووحد بعض اجزاء العالم الاسلامي ،هاجم امارة الرها الصليبية بفعل مجاورتها لامارة الموصل ،ونجح في فتحها ،واستعادها من الصليبيين في عام(٥٣٩ه/١١٤٤م) محققا بذلك اهم انجازاته ،وعدّ هذا الفتح نصرا كبيرا للأسلام . وجرى تطهير الطرق الممتدة بين الموصل وحلب من الوجود الصليبي ،وغير هذا الفتح موازين القوى في منطقة الشرق العربي الاسلامي ،ودفع المسلمين الى محاولة استعادة اراضيهم بعدما لمسوا ضعف الكيان الصليبي .

شكل هذا الفتح صدمة كبيرة للعالم النصراني الغربي .ثم حدث ان قتل عماد الدين زنكي على يد احد غلمانه في عام (٥٤١ه/١١٤٦م) وهو يحاصر قلعة جعبر الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الفرات ،وكانت في حوزة العقيليين .

كان عماد الدين زنكي رؤوفا برعيته ،معنيا بمصالحهم ،كما كان محط انظار الضعفاء لينصرهم على حكامهم المتعسفين . فساد العدل في ايامه ،واطمأن الناس الى سلامتهم الشخصية.

اقتسم ابنا عماد الدين زنكي وهما :سيف الدين غازي ونور الدين محمود ،ارث والدهما ،فحكم الاول القسم الشرقي ومقره الموصل ،وحكم الثاني القسم الغربي متخذا من مدينة حلب قاعده لحكمه ،وقد ورث المشكلتين الكبيرتين اللتين صرف عماد الدين زنكي معظم ايامه في معالجتهما ،وهما قضية دمشق التي كان يحكمها البوريون المتعاونون مع الصليبيين ،والامارات اللاتينية المختلفة .

اتسم نور الدين محمود في نظر معاصريه وعند الاجيال اللاحقة ،بسمة كبرى هي حميته الدينية المتأججة التي استطاع ان يبثها بين المسلمين ،وصمم الى جانب هذه الحمية ،اعادة الوحدة الروحية للاسلام وذلك بتعزيز المدارس السنية ،واعلن ان النصر مرهون بوحدة المسلمين السياسية ،وهذا معناه عزل الامراء المتقاعسين عن الجهاد او المتعاونين مع الصليبيين .وكانت اتابكية دمشق تقف حجر عثرة امام محاولاته لتحقيق الوحدة الاسلامية .ونجح بعد عدة محاولات في ضم دمشق في عام (٥٤٩ه/١١٥٤م)محققا بذلك وحدة المسلمين في بلاد الشام تحت زعامته ،وشكل ذلك أمرا بالغ الخطورة على اوضاع الصليبيين في بيت المقدس بشكل خاص .ثم التفت الى تصفية الامارات الصليبية ،بعد ان صدّ الحملة الصليبية الثانية التي قدمت الى الشرق نتيجة سقوط امارة الرها ،ففتح عدة مدن في بلاد الشام ، وحصر الصليبيين داخل المنطقة الجبلية الواقعة الى الغرب من الاردن والعاصي .

ودخل نور الدين محمود في صراع دامٍ مع امارة بيت المقدس حول مصر التي كانت تتخبط ،في هذه الاثناء في الفوضى والاضطراب بفعل التنازع على منصب الوزارة في ظل الحكام الفاطميين .وقد هدف نور الدين محمود الى تحقيق غايتين :سياسية واقتصادية ، ذلك ان ضم مصر

الى بلاد الشام سيتيح لها حصار مملكة بيت المقدس من الشمال والحنوب ،وفي المقابل فأن وقوعها في ايدي ملك بيت المقدس عموري الاول من شأنه ان يحاصر بلاد الشام من الجنوب والشمال ،مما يشكل تهديدا خطيرا لحركة الوحدة الاسلامية .بالاضافة الى ذلك ،فأنه لم يغب عن تفكيره تجارة مصر الضخمة وميناء الاسكندرية الكبير وحركة التجارة العالمية التي تمر عبر هذا البلد الذي يتحكم في اقصر وافضل طرق التجارة بين الشرق والغرب .

برزت في هذا الصراع الاسرة الايوبية التي عملت في خدمة عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود .

المصادر:

١ـــــــــ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ

٢ـــــــــــ طقوش ، التاريخ الاسلامي الوجيز